

من الأدب الفرنسي قصائد وأقاصيص

لصاحب الرسالة

بقلم الأستاذ «عابر سبيل»



تفضل المحرر الأدبي بمجريدة الدستور فكتب هذه الكلمة
للكريهة :

لم يكده ينقطع الحديث بمدى عن كتاب «وحى الرسالة»
الذى قدمه لقراء العربية الأديب الكبير الأستاذ أحمد حسن
الزيات ، حتى طلع علينا قلبه الزاخر بفيض جديد من أدبه الرفيع
في كتابه الجديد «من الأدب الفرنسي» ، وهو مجموعة من
فرائد الأدب الفرنسي لأسماء الشعر والنثر في فرنسا الخالدة :
«لامرتين» ، وهوجو ، وشاتوبريان ، وجى دى موباسان .
نقلها الأستاذ من مكانها في قمة الأدب الفرنسي إلى نظيره في قمة
الأدب العربي ، بأسلوب عربي لا حاجة به إلى التقرير والإشادة ،
ولا حاجة لصاحبه إلى كلمة ثناء بمد إذ شهدت كل آثاره الأدبية
موضوعة ومعربة ، منذ أن عرب «آلام فرتر» إلى اليوم ، بأنه
يختص في عالم البيان بطريقة لا يشركه فيها كاتب ، وطابع لا أثر
فيه للتكلف والاجتهاد ، وإنما هو طبع أدبي مستوعب لأسرار
البلاغة العربية ، وذوق موهوب في صياغة الجمل العربية من تثار
لفظي متخير بحيث لا تند كلمة في المعنى عن أختها ، ولا ينحرف
جرسها عن الموسيقى المناسبة في سائر الجمل والتراكيب ، وبحيث
لا يصدم سمعك نهو في الجرس ، ولا يرهق لسانك جحوة
في المخرج ، ولا يثب يدك بحث في القاموس عن معنى نافر غريب
لكلمة وحشية جافية . وتتضافر كل هذه القوى البيانية لإبراز
معنى من المعاني بتلبس بها جيمًا تلبس للمطر النافج لا تكلم الزهرة
للندى ، من أية ناحية تلمسها بدهك منها العبير المشبوب . ومعاني
«الزيات» في أغلب موضوعاته وترجماته تهذب دائمًا إلى نور

الحق والخير ، وجمال الحب والرحمة ، وسحر الآلام الإنسانية
الرفيعة التي تنموج بها قلوب للشعراء والمثاق والباحثين من
بنى الأرض . ومن يقرأ طرفاً من شجن «رفائيل» وحيرة
«فرتر» في ممراته لهاتين القصتين العالميتين ، ويمجى وراء قلم
الزيات في فصوله المتعاقبة منذ أنشأ «الرسالة» وأشرف على
تحريرها إلى اليوم يدرك مدى هذه الحقيقة في أدبه سواء في ذلك
الموضوع والمغرب . ويكفي أيضاً لإدراكها أن نطالع فصول
الكتاب الجديد وتقف على عظمة أنجاء العرب في اختيار
الموضوعات الإنسانية الرائعة التي عالجهما للشعراء والكتاب
الفرنسيون الذين عرب لهم ؛ فالذى يطالع منها قصيدة «الشاعر
المختصر» للامرتين يمتنى من أعماق روحه أن لو كان هو ذلك
الشاعر للفاني الذى يودع الدنيا وعلى قيثارة آخر نغم من أنغام
الحب والجمال ، وعلى فوه عظة المسخرة المائلة بالمجد الذى يفنى
للعالم جيلاً بمد جيل في سبيله ، وما هو إلا لفظة جوفاء مجرودة
من كل هذه المعاني الزائفة التي خلعها عليه الإنسان . وقصيدة
«المستقبل» التي وجهها فيكتور هوجو إلى نابليون عقيب اندحاره
في (واترلو) حافلة بأخلاق المعاني الإنسانية التي تنفجر بها قلوب
الأحرار من الشعراء حيال الطغيان البشري الذى يجره المغترون
بالبطولة والعتفوان ، المتحكمون في رقاب العالم إشباعاً لشهواتهم
وأنايتهم ... إلى آخر ما في هذه النبعة الجديدة التي يشاء للفرد
أن تطلع على الناس في وقت نرى فيه فرنسا مهد الشعر والفن
والجمال والحرية أصبحت ميداناً لأكبر صراع في تاريخ البشرية
بين الحرية والاستعباد ، وفي لحظة يستكر فيها ضباب الطغيان على
أعظم منار في العصر الحديث للفنون والحضارة

فلا أقل من أن تؤول ظهور هذا النفس الأدبي في ظلام
الحن تحية سامية لفرنسا وصوتاً جديداً يذكر الشرق بفضلهما
على الأدب الإنسانى كله وعلى الأدب العربى بوجه خاص ...
نسال الله هداية كتابنا إلى مثل هذا المجهود الأدبى العظيم الذى
يضم به الزيات بدأ جديدة من أياديه الخالدة على الثقافة المصرية
والأدب العربى الحديث

«عابر سبيل»